Quarterly Journal of Contemporary Literature Studies **Volume 15, Issue 59**
Islamic Azad University in Jiroft **December 2023**
https://cls.jiroft.iau.ir/ **pp. 145-166**

10.30495/CLS.2023.1985853.1419

Research Article

Commitment in Arabic Literature (Al-Sharif Al-Radi and Ibn Maatouq Al-Hawizi, a Balanced Study)

Hossin Javanmardi[1], Javad Saadonzadeh[2*], Sohad Jaderi[3]

Abstract

This article aims, based on the descriptive analytical method, to examine the commitment aspects of the poetry of Sharif Al-Radi and Ibn Maatouq Al-Mousawi, because they are among the poets who reflected the commitment after he worked with them in their lives. Islamic and Qur'anic verses since their childhood, this development led to their distance from immorality and immorality, as they left pure and honest poems far from vulgarity and immorality.¬This article also aims to analyze the hidden meanings in their poetry through study and analysis, as well as trying to acquaint the recipient with some of the ideas of these two great poets. The expression of these teachings indicates that the poets have practically adhered to these values and called everyone to them from the depths of their heart.

Ibn Maatouq used the art of embodiment, and in this way he gave his verses much vitality and activity. It refers to the incident of Ghadir Khumm and uses the element of imagination to describe the events of that day. It also refers to the verse of purification in some of its verses. Ibn Maatouq used the method of calling a lot, as he addressed the Prophet (PBUH) using the phrase (my lord) and the word (my lord), whose appreciation is my lord.

Keywords: Arabic literature, Commitment, the Qur'an, Ahl al-Bayt (peace be upon him), Sharif al-Radi, Ibn Maatouq al-Mousawi

How to Cite: Javanmardi H, Saadounzadeh J, Jaderi S., Commitment in Arabic Literature (Al-Sharif Al-Radi and Ibn Maatouq Al-Hawizi, a Balanced Study), Quarterly Journal of Contemporary Literature Studies, 2023;15(59):145-166.

1. PhD student of Arabic language and literature, Ayadan branch, Islamic Azad University, Khuzestan, Iran
2. Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, Shahid Chamran University, Ahvaz, Iran
3. Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, Ayadan Branch, Islamic Azad University, Khuzestan, Iran

Correspondence Author: Javad Sadounzadeh **Email:** j.sadounzadeh@scu.ac.ir

Receive Date: 14.05.2023 **Accept Date:** 14.11.2023

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

فصلنامه علمی دراسات الادب المعاصر
دانشگاه آزاد اسلامی واحد جیرفت
https://cls.jiroft.iau.ir/

دوره ۱۵، شماره ۵۹
پاییز ۱۴۰۲
صص: ۱۶۶-۱۴۵

10.30495/CLS.2023.1985853.1419

مقاله پژوهشی

التزام به ادبیات عرب (الشریف الرضی و ابن معطوق الحاویزی، تحقیق متوازن)

حسین جوانمردی[۱]، جواد سعدون زاده[۲*]، سهاد جادری[۳]

چکیده

این مقاله بر آن است تا بر اساس روش توصیفی تحلیلی، به بررسی جنبه های تعهدی شعر شریف الرضی و ابن معطوق الموسوی بپردازد، زیرا آنها از جمله شاعرانی هستند که پس از همکاری با آنها در زندگی خود، این تعهد را منعکس کردند. آیات اسلامی و قرآنی از همان دوران کودکی باعث دوری آنها از بداخلاقی و بداخلاقی شد، چرا که اشعاری ناب و صادقانه به دور از ابتذال و بداخلاقی بر جای گذاشتند.- همچنین این مقاله بر آن است تا با مطالعه و بررسی معانی نهفته در شعر آنها را تحلیل کند. تحلیل و همچنین تلاش برای آشنایی مخاطب با برخی از اندیشه های این دو شاعر بزرگ. بیان این آموزه ها حاکی از آن است که شاعران عملاً به این ارزش ها پایبند بوده و همه را از اعماق دل به سوی آن فرا خوانده اند.

واژگان کلیدی: ادبیات عرب، التزام، قرآن، اهل بیت علیهم السلام، شریف الرضی، ابن معتوق الموسوی

ارجاع: جوانمردی حسین، سعدون زاده جواد، جادری سهاد، التزام به ادبیات عرب (الشریف الرضی و ابن معطوق الحاویزی، تحقیق متوازن)، دراسات ادب معاصر، دوره ۱۵، شماره ۵۹، پاییز ۱۴۰۲، صفحات ۱۴۵-۱۶۶.

۱. دانشجوی دکتری زبان و ادبیات عربی، واحد آیادان، دانشگاه ازاد اسلامی، خوزستان، ایران
۲ .دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه شهید چمران، اهواز، ایران
۳. استادیار دانشگاه گروه زبان و ادبیات عربی، واحد آیادان، دانشگاه ازاد اسلامی، خوزستان، ایران
نویسنده مسئول: جواد سعدون زاده ایمیل: j.sadounzadeh@scu.ac.ir

تاریخ دریافت: ۱۴۰۲/۰۲/۲۴ تاریخ پذیرش: ۱۴۰۲/۰۸/۲۳

دراسات الأدب المعاصر
جامعة آزاد الإسلامية فى جيرفت
https://cls.jiroft.iau.ir/

السنة ١٥ ، العدد ٥٩
خريف ١٤٤٥
صص: ١٦٦-١٤٥

10.30495/CLS.2023.1985853.1419

المقالة البحثية

الالتزام في الأدب العربي (الشريف الرضي وابن معتوق الحويزى دراسة موازنة)

حسين جوانمردي[١]، جواد سعدون زاده[٢*]، سهاد جادري[٣]

الملخّص

يهدف هذا المقال بناءً على الأسلوب التوصيفي التحليلي فحص جوانب الالتزام فى شعر الشريف الرضي وابن معتوق الموسوي؛ لأنهما من الشعراء الذين عكسا الالتزام بعد أن عملا به في حياتهما، حيث يمكن العثور عليه بوضوح في شعرهما وذلك لنشوئهما على ضوء التعاليم الدينيّة في أسرتين ولائيتين، وتعرفهما على التعاليم الإسلاميّة والقرآنيّة منذ صغرهما، هذه التنمية أدّت إلى ابتعادهما عن الفحشاء والمنكر حيث تركا قصائد طاهرة وصادقة بعيدة عن الإبتذال والمجون، كما يستهدف هذا المقال تعرف المتلقّي ببعض أفكار هذين الشاعرين العظيمين. التعبير عن هذه التعاليم يدلّ على تمسكهما بهذه القيم عمليّاً ودعوا الجميع إليها من أعماق قلبهما. يظهر هذا البحث أنّ الشاعرين قد رسما في شعرهما قيّماً مثل الابتعاد عن التعلّقات الدنيويّة، والابتعاد عن الشّهوات، والتوكّل على الله، والصبر على المشقّات، وتيسير الحياة، والإيمان بأصول الدين، والإيمان بشفاعة الأئمة وخلاصهم والتّفكير بالموت، كما يدلّ على أنّهما جمعا القيّم الروحيّة بالقرآن وكلام الإمام علي (ع) وحثّا القارئ بالتفكّر في ضوء هذا الانصهار. استخدم ابن معتوق فن التجسيد وبهذه الطريقة قد أعطى أبياته حيويةً ونشاطا كثيراً. إنّه يشير إلى واقعة غدير خم ويستخدم عنصر الخيال ويقوم بوصف وقائع ذلك اليوم. كما أنه يشير إلى آية التطهير في بعض أبياته. قد وظف ابن معتوق أسلوب النداء كثيرا حيث خاطب النبي(ص) مستخدما عبارة(يا سيدي) وكلمة(مولاي) الذي تقديرها يكون يا مولاي.

الكلمات الرئيسة: الأدب العربي، الالتزام، القرآن، أهل البيت(ع)، الشريف الرضي، ابن معتوق الموسوي

١. طالب دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، فرع إبادان، جامعة آزاد الإسلامية، خوزستان، إيران
٢. أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الشهيد جمران، الأهواز، إيران
٣. أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، فرع إبادان، جامعة آزاد الإسلامية، خوزستان، إيران

المؤلف المختص: جواد سعدون زاده **البريد الالكتروني:** j.sadounzadeh@scu.ac.ir

تاريخ الوصول: ١٤٤٤/١٠/٢٣ **تاريخ القبول:** ١٤٤٥/٠٤/٢٩

المقدمة

الأديب صاحب رسالة اجتماعيّة نابعة عن وعيه ومسؤوليته أمام ضميره وعقيدته والمجتمع الذي ينتمي إليه والانسانيّة قاطبة؛ فهو بحكم عمله ووفقاً لمهمّته التي ندب نفسه لها، غير قادرٍ على أن يتجاهل ما يجري حوله؛ لذلك يتّخذ البادرة الحرّة المسؤولة في معاجلته ليحقّق وجوده كما ينبغي له(أبوحاقة، ١٩٧٦م: ١٤)؛ فلذلك لا نرى أديبا يبتعد عن الالتزام، فالالتزام بقيم وآراء في النطاق الاجتماعي والقومي سواء كان مدنيّاً أم ثقافيّاً أو كان دينيّاً يفرض سلطته على أقوال الناس واتجاهاتهم كثيرًا(الحسني الندوي، ١٩٨٥م: ٨٠) وإذا كان الالتزام بمعنى الاختيار؛ فإنّ الإلزام هو ضده حيث يعني الجبر الذي قد يدفع له بعض الأدباء من أطراف خارجيّة من سلطة أو ديكتاتوريّة مستبدّة، تجعل من الأدباء أبواقاً تثني على السلطة مروّجة أفكارها وتنشر مبادئها كما تؤيد فلسفتها وآرائها(محجوب، ٢٠٠٦م: ١٢٠) وخلاف فاحش بين أن يأتي الالتزام من باطن التجربة ويجري في أوصالها وهي تتخلّق، كما يجري الدمّ النقي في شرايين الأجنة؛ فيهبها الحياة(خليل،١٩٨١م: ١٠٨) وبين أن يكون إكراهًا مدفوعًا إليه الأديب من خارج الذات. ينبغي للأديب أن يكون حرّاً والحريّة هي منبع الفن وبدونها لا يوجد أدبٌ ولا فنٌّ، ويؤكّد توفيق الحكيم على هذه الحرّية فيقول:«تلك هي الموعظة التي ينبغي أن تزجى إلى الأديب والفنّان، ولا تتصوّر نصيحة أخرى خالصة يمكن أن تقدّم له، والذي يلزم الفنان أو الأديب بما ليس مؤمناً به إنّما يقتله، فالأديب صاحب الكلمة والموقف الهادف يكون التزامه جزءاً من كيانه ويجب أن يلتزم وهو لا يشعر بأنّه ملتزم»(الحكيم، د.ت: ٢٩٣)؛ أمّا سارتر فقد عرّف الأدب الملتزم فقال:« أنّ الأثر المكتوب واقعة اجتماعيّة، ولابدّ أن يقتنع الكاتب به اقتناعاً عميقًا، حتّى قبل أن يتناول القلم عليه أن يشعر بمدى مسؤوليته، وهو مسؤول عن كلّ شيء، عن الحروب الخاسرة أو الرابحة، عن التمرّد والقمع إنّه متواطئ مع المضطهدين إذا لم يكن الحليف الطبيعي للمضطّهدين» (سارتر ، ١٩٦٧م: ٤٥-٤٤).

شريف الرضي وابن معتوق هما من الشعراء اللذين عكسا الالتزام في شعرهما بعد أن عملا به في حياتهما، حيث يمكن العثور عليه بوضوح في شعرهما. نشأ الشاعران على ضوء التعاليم الدينيّة جيّداً في أسرتين ولائيتين، وتعرفا على التعاليم الإسلامية والقرآنية منذ صغرهما، هذه التنمية أدّت إلى ابتعادهما عن الفحشاء والمنكر حيث تركا قصائداً طاهرةً وصادقةً بعيدةً عن الإبتذال والمجون. بما أن الشاعرين قد تأثّرا من التعاليم القرآنيّة فعكسا في ديوانهما مضامين قيّمة، تجعل القارئ يتأمّل ويفكّر، حيث قدّما نموذجًا فريدًا للأجيال القادمة، فلهذا يعدّان مصدرين قيّمين للعلماء والكتّاب والباحثين. كما أنّ شعرهما يحتوي على كلامٍ صادقٍ والفاظٍ

حلوةٍ وصورٍ جذّابةٍ تفاجئ المتلقي. هذه المقالة تحاول أن ترصد ملامح الالتزام في شعر الشريف الرضي وابن معتوق الموسوي وذلک بتركيزه عن أشعارهما دراسةً وتحليلاً، وعرض نماذج لكلّ أنماط الالتزام الديني من شعرهما لتجيب على السؤالين التاليين:

١- ما هي ملامح الالتزام الديني في شعر الشريف الرضي وابن معتوق الموسوي؟
٢- كيف استطاع الشاعران أن يعبّرا عن إلتزامهما؟

خلفية البحث

رغم بحثنا الكثير حول هذا الموضوع لم نعثر على بحثٍ قد تمَّ كتابته في هذا المجال، لكن كتبت بحوثٌ حول الالتزام في الادب العربي وفي شعر بعض الشّعراء فيما يلي نشير إلى بعضها:

كتاب"الالتزام في الشعر العربي"، لأحمد أبي حاقة(١٩٧٦م)، بيروت، دار العلم للملايين.تطرّق الكاتب إلى تعريف الالتزام لغةً واصطلاحاً وقام بدراسة أبعاده المختلفة مع ذكر نماذج من الالتزام في الأدوار المختلفة وتحليلها تحليلاً أدبيّاً.

رسالة"دراسة المواقف السياسية في شعر محمد محمود الزبيري" لمحمد بروغنى(٢٠١٦م)، رسالة ماجستير، جامعة الحكيم سبزواري. من أهمّ ما توصّل إليه الباحث أن محمد محمود الزبيري هو أحد الشعراء الذين استخدم في شعره مواضيع مثل الليبرتاريّة ومناهضة الاستعمار والدفاع عن فلسطين والوطنية، وقد عبّر عن عمق أفكاره وقيمتها في ضوء تلك المفاهيم حيث وظّف موضوعات مختلفة في شعره كالحريّة، مناهضة الإستبداد، الدفاع عن فلسطين، وحبّ الوطن.

أما بالنسبة للبحوث التي تناولت شعر الشريف الرضي وابن معتوق هناك بحوث قد تمّت مستهدفةً فحص بعض موضوعاتهما الشعريّة وأبعاد حياتهما، فيما يلي نشير إلى بعض البحوث التي قام بها بعض الباحثين حول شعر الشاعرين وآراؤهما:

مقالة"الرفض في شعر الشريف الرضي"، لحميد مخلف الهيتي(١٩٨٦م)، مجلة آداب المستنصرية، العدد ١٤.تحدّث الباحث في هذه المقالة عن الرفض في شعر الشريف الرضي مع ذكر نماذج منه بالدراسة والتحليل من أهمّ ما توصّلت هذه المقالة أنّ الشاعر دعا الناس للدفاع عن عقائدهم، كما أشار إلى الماضي المجيد للحضارة الإسلامية، جنبا إلى جنب هداية المسلمين إلى الصحوة والوحدة، وتجنّب أي تخلّف.

مقالة"الاغتراب في رثاء الشريف الرضي"، لعلي عبد رمضان(٢٠١٩م)، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، المجلد٤٤، العدد١. تحدّث الباحث في هذه المقالة عن الاغتراب في رثاء الشريف الرضي مبيّناً نماذج منها بالدراسة والتحليل. من أهمّ ما توصّل إليه الباحث أن الشاعر قد عانى من الاغتراب في شعره كثيراً.

رسالة"دراسة مضامين الشعرية لابن معتوق"، لفاطمه حبيبى درح(١٣٩٠ش)، رسالة الماجستير، جامعة فردوسي مشهد. قامت الباحثة في هذه الرسالة بفحص الشؤون الأدبيّة في العهد العثماني والحياة الشخصيّة والأدبيّة للشاعر ثم تطرّقت إلى مضامين شعره كحبه لأهل البيت(ع) ومدحهم ورثائهم والاخوانيّات والقصائد الاجتماعيّة التي أنشدها في مناسبات مختلفة ووصف مكانة المرأة في المجتمع. ومن أهمّ ما توصّلت إليه الباحثة أن المدح والغزل هما من أهمّ اغراض شعر ابن معتوق الشعريّة، ولعنصري الخيال والعاطفة دورٌ هامٌّ في نضج أدبيّته.

مقالة "دراسة تحليلية لنماذج شعرية من شعر ابن معتوق الموسوي" لزينب عبد الكريم(٢٠١٥م)، مجلّة كلّية التربيّة الأساسيّة، العدد٢٠.بعد أن وصفت الكاتبة سيرة الشاعر باختصار، قامت بتعليق وجيز عن كيفيّة نشر ديوانه، ومن ثمّ أظهرت أهمّ مضامين شعره مع ذكر أمثلة منه.

أما هذا الموضوع بتسليطه الضوء على شعر شريف الرضي وابن معتوق الموسوي وتطرّقه إلى أهمّ أبعاد التزامهما مثل الولاء لأهل البيت(ع) وطلب الشفاعة منهم ورثاء الحسين(ع) بصورة موازنة يعد موضوعاً جديداً لم يتطرّق إليه أحد من قبل.

نظرة اجمالية فى حياة الشاعرين وأدبهما

ولد أبو الحسن محمد بن طاهر الملقب بشريف عام ٣٥٩ هـ في بغداد. عاش زاهداً تقيّاً وتمتّع بفضائلٍ صوفيّةٍ وأفقٍ فكريٍ واسعٍ. حيث قد ترك أثراً عميقاً وجيّداً في الحياة الفكريّة والأدبيّة للمسلمين(نورالدين، ١٤١١ق: ٥). عاصر الشاعر اضطهاد العلويين في زمن خلافة الخلفاء الثلاثة، أي المطيع والطائع والقادر.إنّه انفصل من أبيه وعمه اللذين قد أسرا في خلافة معتضد بعد أن صادرت الحكومة ممتلكاتهما حيث هذه المضايقات قد أثّرت في روحه كثيراً، فهذه الأحداث جعلته شاعراً حسّاساً يعبّر عن مصائبه وأحزانه الداخليّة من خلال شعره.

نشأ الشريف الرضي في مسقط رأسه بغداد ودرس العلوم المختلفة وكانت له علاقةٌ قويّةٌ مع أحد حكّام الدولة البويهيين خاصّة بهاء الدولة وكان ينشد له قصائد في مناسبات مختلفة كالتهنئة والتعزية. من أهمّ آثاره نستطيع أن نشير إلى"حقائق التأويل في متشابه التنزيل"،"نهج البلاغة"،"الخصائص"،"تلخيص البيان في مجازات القرآن"،"خصائص الأئمة"،"ديوان شعر" و"مجازات الآثار النبوية" توفّي الشريف الرضي في السادس من محرم سنة ٤٠٦ هـ ودفن في منزله بإحدى أحياء الكرخ (الكاظمية الحالية)(الفاخوري، ١٣٨٥ش: ٦٦٨).

ولد شهاب الدين بن سعيد الموسوي الحويزي المعروف بإبن معتوق في سنة (١٠٢٥ه) وهو من أهالي البصرة وقد طبع ديوانه الّذي عرف بديوان (ابن أبي معتوق) ولثقله على اللسان ولعدم اللبس مع عناوين أخرى حدث تصحيف وتحريف باسم (ابن معتوق)(باشا، ١٩٨٩م: ٣٧٠-٣٦٠)، ولعلّ إصابة الشاعر بالفالج لمدة طويلة هي الّتي حالت بينه وبين جمع ديوانه؛ إذ أنهكه المرض، إلا أنه بقي محتفظاً بحافظةٍ جيّدةٍ، ولعلّ إملاءه لولده من حفظِه دليل ذلك أن المنيّة قد وافته قبل أن يتمّ جمع ديوانه، وترك هذه الدنيا في الرابع عشر من شوال عام (١٠٧٧ه) ويقال سنة (١٠٨٧ه) وهذا ما أرّخه ولدهُ في مقدمة ديوانه ووافقه السيد علي خان في كتاب (ملح السلافة) مع وجود بعض الإختلاف في تحديد سنة الميلاد(الحسيني العاملي، ١٩٧٩م: ٧/ ٣٦٦)؛لذلك تولّى المهمة ولده عنه وهو واحد بين آخرين لا نعرف عنهم شيئاً إلا أن الأكبر بينهم هو من قام بجمع الديوان(باشا، ١٩٨٩م: ٣٦٠).

عاش ابن معتوق في عصر السقوط وانتمى إلى مذهب الشيعة وشعره انعكاس لهذين الأمرين، لأنّ شعره زاخرٌ بالصنائع الأدبيّة والاقتباسات القرآنيّة ومن جهة أخرى حافلٌ بعفة الألفاظ ومعناه(عنايي واسكندري،١٩١٩م: ٣١٦). جمع ديوانه باهتمام إبنه وبأمر من سيد علي خان وطبع في مصر؛ بيروت، الاسكندرية والنجف مراراً (سيدي،١٣٧٠ش: ١/ ٦٣٢).

تجليّات الالتزام في شعر الشريف الرضي وابن معتوق الحويزي

نشوء الشريف الرضي وابن معتوق على ضوء التعاليم الدينية في أسرتين ولائيتين، وتعرفهما على التعاليم الاسلاميّة والقرآنيّة منذ صغرهما، قد جعلهما أن يتركا قصائد طاهرة وصادقة. إضافة إلى ذلك تأثّرهما من التعاليم القرآنيّة قد جعل ديوانهما مشحوناً بمضامينٍ قيّمةٍ، تجعل القارئ يتأمّل ويفكّر، حيث قدّما نموذجاً فريداً للأجيال القادمة،كما أن شعرهما يحتوي على كلامٍ صادقٍ والفاظٍ حلوةٍ وصورٍ جذّابةٍ تفاجئ المتلقّي. فيما يلي نرصد ملامح الالتزام في شعر الشاعرين بتركيزنا على نماذج لكلّ أنماط التزامهما الديني.

الولاء لأهل البيت(ع)

يعكس الشريف الرضي في أشعاره ولائه لأهل البيت (ع) ويرسم ما يدور في قلبه وذهنه تجاه هؤلاء الأطهار. إنّه يخاطب الناس صارخاً لوعات قلبه وحرقة ألمه، لأنّه قد رأى الناس ساروا على نهجٍ غير صحيحٍ قد أنذرهم النّبي عنه وأرشدهم إلى أفضل الطرق وأسهلها لكنّهم تابعوا النّفس الأمّارة وتاهوا في الطرق الوعرة حيارى:

لَيسَ هذا لِرسولِ اللهِ، يا أُمّةَ الطُغيانِ والبَغى، جَزا!

(الشريف الرضي، ١٩٣٢م: ٩٣/١)

قد شبّه الشريف الرضي النّبي بغارسٍ يغرس الخير بين الآخرين، حيث بذل جلّ جهوده في نشر الاحسان في المجتمع ولا يقصر في حق عباد الله أبداً، لكن لم يعوّضوا محبة الرسول في حقّهم، بل أذاقوا أهلوه مصائب كثيرة لا تحصي ولا تُعد. قد خاطب الشاعر بعض النّاس في هذا البيت بألقاب كالطّغاة والمعتدين؛ لأنّه رأى إهمالهم بما قال النبي(ص) وبما وصّى عن الدّين والعمل بالواجبات وترک الملاهي والمعاصي وعدم مواصلة طريقة أهل البيت(ع).

غارسٌ لَم يَألُ فى الغَرسِ لَهُم فأذاقوا أهلَه مُرَّ الـجَنى

(المصدر نفسه، ٩٤/١)

يشير الشريف الرضي في شعره إلى الظلم الذي لاقاه الحسين (ع) في كربلاء لا يرى من ينصره من عباد الله سوى بعض أقربائه وأصحابه المميّزين؛ شبّه الشاعر فى هذا البيت جفاء بعض النّاس في حقّ الإمام حسين(ع) بعد أن تركوه وحيدًا مع بعض أقربائه وأصحابه أمام جيوش جرّراة وجنود قاسيّة القلوب لا ترحم الأطفال ولا النساء بالجنيّ المرّ؛ فيتطرّق الشاعر ضمن رسم هذه اللوحة إلى برّ الامام علي (ع) والرسول الأكرم(ص)

مُرهَقاً! يدعو، ولاغَوثَ له بِأبٍ بِرٍّ وجَدٍّ مصطفى!

(المصدر نفسه، ١/ ٩٥)

يرسم الشاعر هنا صورة مميّزة من بر علي بن ابي طالب والنبي (ص) حيث عرفا هما وأسرتهما بالبرّ والإحسان والتّقوى والإيمان؛ فهم الذين ينصرونه بمكانتهم العاليّة ومنزلتهم عند الله سبحانه وتعالى، كما يشير الشاعر أثناء تطرّقه لاستشهاد الامام الحسين(ع) إلى أصحاب الكسا الذين قد نزلت في حقّهم آية التطهير والامام هو أحد هؤلاء حيث كان مع النّبي (ص) تحت الكسا.

قتلوه بَعدَ عِلمٍ مِنهُمُ أنَّهُ خامِسُ اصحابِ الكَسا

(المصدر نفسه، ٩٦/١)

ينوّه الشاعر هنا إلى العمل الشنيع الذى ارتكبه يزيد بن معاوية وجنوده في قتل سبط النبى(ص)، إذ أنّهم كانوا على علم ويقين بأنّه ضمن أصحاب الكساء، ومع ذلک قاموا بارتكاب هذا الفعل الحرام ليلبّوا أهوائهم وميولهم وشهواتهم، كما أنّه

ضمن ترسيمه صورة الطف واستغاثة الامام الحسين(ع) بأمه عند مواجهته الظلم والكفر والطغيان، أشار إلى مكانة السيدة فاطمة الزهراء اللامعة في الدنيا والآخرة:

وبأمٍّ رَفَعَ اللهُ لـها عَلَماً مابيـن نُسوانِ الوَرَى

(المصدر نفسه، ٩٦/١)

هذا البيت هو إشارة إلى حديث نبوي خاطب الرسول(ص) به ابنته الزهراء(س) قائلاً:«اما ترضينَ يا بُنيّة أنّكِ سيّدةُ نساء العالمين»(خوشال دستجردى، ١٣٨٦ش: ٧٦).

كما أنه يشير إلى مكانة الرسول(ص) والامام علي (ع) حيث لا يضاهي مكانتهما أحد.

معشرٌ مِنهُم رسولُ اللهِ والـ ـكاشِفُ الكربِ إذا الكربُ عَرا

(الشريف الرضي، ١٩٣٢م: ٩٧/١)

قد استخدم الشريف الرّضى لفظة«الكرب»؛ ليخلق التكرار الختامي وهو صيغة ذات صبغة دلالية مكثّفة ينحو فيها الشاعر منحاه عندما يسعى لعرض صورة بعينها عبر الضغط عليها بواسطة التكرار الذي يُحمل بين طيّاته ميزة إيقاعية تُؤدي بُعْدًا دلاليًا، حيث أنّ لفظة«الكرب» الثانية تدلّ على ذروة الألم والحزن فأظهرها كشيءٍ مرئي وملموسٍ.

إنَّ الشريف الرضي لا يغفل عن مكانة الامام مهدي (عج) حيث يشير إلى زمن ظهوره قائلاً:

وعلىٌّ وابوهُ وابنُهُ والذى ينتظرُ القومُ غداً

(المصدر نفسه، ٩٧/١)

في هذا البيت إقتباس من حديث النبي(ص) حيث ضمّن المتكلم الشّريف الرّضى منظومه شيئا من الحديث على وجه لا يشعر بأنّه منه:"يَملأ الأرضَ قسطاً وعدلاً كَما مُلِئَت ظلماً وجَوراً"(ابن بابوية، ١٤١٣ق: ١٧٧/٤).

ابن معتوق أحد الشعراء الذين خصّصوا جزاءً من نتاجهم لشخص الرسول الكريم(ص)حبّاً وكرامةً وعرفاناً بفضله على البشر فقد استهلّ ديوانه بالمدحة النبويّة الأولى المؤلفة من خمسة وسبعين بيتاً، أربعة وثلاثون بيتاً منها خلصت للمديح جاء فى مطلعها:

هذا العقيقُ وتلك شمُّ رعانةٍ فامزُج لجينَ الدَّمعِ من عِقيانِهِ

(ابن معتوق الموسوى،١٨٨٥م: ٣)

قد خلق ابن معتوق بذكر تركيب (لجينَ الدَّمع) تشبيهاً بليغًا، حيث شبّه الدّمع باللجين فى الصفاء كما أنّه في بيت آخر يشبّه أهل البيت(ع) بأنجمٍ قائلاً:

أَكارِمٌ كَرُمَت أَخلَاقُهُم فَبَدَت مِثلَ النُّجُومِ بِماءٍ في صَفَائِهِمِ

(المصدرنفسه، ١٤)

في هذا البيت جملة (بَدَت مِثلَ النُّجُوم...) تشبيه مرسل مجمل. يقول إنّ أهل بيت النبوة يمتلكون سلوكاً طيّباً وقد ظهر صورة سلوكهم في صفاء ماء وجودهم.

يرى الشاعر النبي (صلي الله عليه وآله) أحسنَ وأفضلَ وسيلةٍ لهداية الناس وخروجهم من الظلمات ولا يرى مفرّاً من الظلمات إلاّ التمسّك ببرهانه حيث يعدّ نبوّته أكمل الأديان:

لُطفُ الإلهِ قَد ضَاقَ صَدرُ الغَيثِ عَن
وَسِرُّ حِكمَتِهِ الّذي كِتمَانِهِ
قِرنٌ بِهِ التَّوحِيدُ وَالشّركُ مُنتَحِباً
أَصبَحَ ضاحِكاً عَلَى أَوثَانِهِ
نَسَخَت شَرائِعُ دِينِهِ في مُحكَمِ الآياتِ
الصَّحُفَ الأُلَى مِن فرُقَانِهِ
نُورٌ وَجَلَا الضَّلالة في
بَدَا فَأَبَانَ عَن فَلَقِ الهُدَى سَنَى بُرهَانِهِ

(المصدر نفسه، ٨)

هذه الصورة الجميلة والخلّابة قد رسمت تضاداً باتيانه كلمات مضادّة ك "الشرك والتوحيد" و"ضاحكاً ومنتحباً" و"النور والضلالة" لتبيّن مدى أهمية وجود النبي (ص) في المجتمع الاسلامي حيث أزال الشرك والضلالة من ساحة المجتمع وعوّض عنهما بالتوحيد والنور. إنّ ذكر تركيب "صدر الغيث" استعارة مكنية حيث إعتبر الشاعر الغيث انساناً له صدر. وفي موضع آخر يرى الشاعر النبي (صلي الله عليه وآله) بشيراً وهادياً، فلولا النبي (صلي الله عليه وآله) لبقيت الناس في الضلالة.

مُحَمَّدٍ أَحمَدَ الهادِي البَشِيرِ وَمَن ... لَولاهُ في الغَيِّ ضَلّت سائِرُ الأُمَمِ
مُبارَكــ الاسمِ مَيمُونٌ مَآثِرُهُ ... عَـــمَّت فآثارُها بالغَورِ والأَكَمِ
طَوقُ الرِّسالَةِ تاجُ الرُّسلِ خاتِمُهُم ... بَـــل زينَةٌ لِعِبادِ اللهِ كُلِّهِم

(المصدر نفسه، ١٢)

وظّف ابن معتوق عدداً من الأبيات وذلک بكلمات محدّدة لاستيعاب معنا المطلوب والغرض الرئيسى، حاول من خلالها أن يبيّن أهمية مكانة الرسول الكريم(ص) عند العرب وكيف ترتّبت حياتهم بمجيئه.

وفي أبيات أخرى يرى النبي (صلي الله عليه وآله) نوراً يذهب المآتم والأحزان ويشفي الضالين الّذين يزورونه ليلاً.

نورٌ بَدا فأنجَلَى غَمُّ القُلُوبِ بِهِ ... وَزَالَ ما فـــي وُجُوهِ الدَّهرِ مِن غُمَمِ
تَشفِي مِنَ الدَّاءِ وَالبَلوَاءِ نِعمَتُهُ ... وَتَنفَخُ الرُّوحَ في البالى مِن الرِّمَمِ

(المصدر نفسه، ١٢)

يصف ابن معتوق ذرية النبي (صلي الله عليه وآله) بالطهارة وصفاء الكرامات ونقائها حيث يشبّههم بماء المطر؛ لأنَّهم يجلون جميع الهموم والأحزان حيث لم يبق على وجه الدَّهر همّاً ولا غمّاً كما يعتبرهم نعمة تشفي جميع الأمراض والبلايا حيث تُنفخ هذه النعمة في الأرواح البالية وتعيد قواهم ونشاطهم. كما يري ابن معتوق أهل البيت (عليهم السلام) سيوفاً صارمةً للدفاع عن دين الله وقد ابتعد الرّجس والقذارة من ساحتهم.

ذُرِيَّةٌ مثلُ ماءِ المُزنِ قد طَهُرُوا ... وَطُهِّرُوا فصَـفَت أَوصافُ ذاتِهِم
سيوفُ حقٍّ لدينِ اللهِ قد نَصرُوا ... لا يطهُرُ الرِّجسُ إلاّ في حُدُودِهِم

(المصدر نفسه، ١٥و١٤)

قد خلق ابن معتوق بذكر عبارة (ذرّيّة مثل ماء المزن) تشبيهاً من نوع المرسل المجمل، كما أنّ هذا البيت يشير إلى آية التطهير الّتي نزلت في شأن أهل البيت (عليهم السلام) فكرّرها الشاعر أربعة مرّات في ديوانه، مرّة في مدح أهل البيت (عليهم السلام) وثلاث مرّات في مدح علي خان.

إنّه يخاطب الناس ويقول لهم باستخدامه صناعة الاستفهام الانكارى هل نزلت حواميم في شأن أناس سوى أهل البيت (عليهم السلام):

كفاهُمُ ما بِعَمَّى والضُّحى شَرَفاً والنُّورِ والنَّجمِ من آيٍ أتَت بهِمِ
سَل الحواميمَ هل في غيرِهِم نزَلَت وهَـــــل أَتى هَل أَتى إلاّ بمَدحِهِمِ

(المصدر نفسه، ١٤)

استخدم الشاعر في البيتين السابقتين فن التجسيد بمخاطبته الحواميم عن طريق استخدام فعل أمر(سل) وبهذه الطريقة قد أعطى أبياته حيويّةً ونشاطاً كثيراً. يعتقد ابن معتوق أن الله جعل الامام على(ع) سيدَ الأوصياءِ وعمادَ الدينِ حيث قد اصطفاه الله سبحانه وتعالى وجعله محلاً لنزول الوحي ومعدناً للعلم والفضائل بل مقدّر الأرزاق:

سيّــدُ الأَوصياءِ، مَولى البَرايا عروةُ الدينِ صفوةُ الخَلّاقِ
مَهبطُ الوَحيِ معدنُ العلمِ والإفضالِ لابَل مقـدِّرُ الأَرزاقِ

(المصدر نفسه، ١٧)

يشير ابن معتوق إلى واقعة غدير خمٍّ مستخدماً عنصر الخيال ليصفَ وقائع ذلك اليوم معبّراً عن اخبرار الفضاء والحقيقة السارية والجارية فى الغدير حيث قد اقتحمَ الفلقُ عمقَ الظلامِ كما رسم لأسماك التى تسبح في الغدير وتقطف بأيديها الأقاحي:

أَتَخَيَّـلتَ أنّ وقتكَ ليلٌ سَفَهاً إنّ ذا دُخانُ البُخورِ
فلقد شجَّ في عمودِ سناهُ فلـــــقُ الصُّبحِ هامةَ الدَّيجورِ
وَبُحُورُ الظَّلامِ غُرنَ وعامَت حـــــوتُهُا من ضيائهِ في غديرِ
وغدَت تقطُفُ الأُقاحَ يَداهُ مـــن ريـــــاضِ الملابِ والكافُورِ

(المصدر نفسه، ١٧)

قد وظّف الشاعر صناعة التجسيد في الأبيات السالفة حيث تصوّر الديجور انساناً؛ لأنّه ذكر له هامةً كما انه اعتبر الحوت انساناً يقطف بيده الاقحوان. وفي مكان آخر يشير إلى قضية السقيفة وما خلّفت ضلالة العرب من الخفة والهوان اللذين قد حلّا بهم:

كم قد رَمَى إذ نَفَى الأعرابُ قَوسِ الخـــــلافِ سِهامَ الغَيِّ
مجدَكَ في والجَدَلِ
فَـــلَم تُصِبـكَ وما أَشـــــوَت بَـل أَثخَنَتـــــهُم جِراحُ الخِزيِ
سهامُـــــهُـــمُ والفَشَل

(المصدر نفسه، ٢٥)

الإيمان بشفاعة الأئمة وخلاصهم الناس

الشفاعة هي أن يتوسّط مخلوق بين الله وسائر المخلوقات لجلب الخير أو يمنع الشر في الدُّنيا والآخرة ويؤمن بها معظم المسلمين. هذا المفهوم الديني حسب المعتقدات الشيعيّة يكون عند الله فقط ولا يمكن لأحدٍ أن يشفع إلّا بإذنه. على هذا الأساس، إذا رضي الله بإيمان العبد، فسيسمح للشفعاء أن يتشفعوا له، وفي يوم القيامة، سيسمح الله لبعض الناس بالتوسّط من أجل المذنبين. كما نقرأ في آية الكرسي:﴿من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه... ﴾(البقرة/٥٥)أي أنّ النّبي صلّى الله عليه وسلم والإمام لا يشفعان لأحد إلا بإذن الله. من ناحية أخرى، إنّ للشفاعة شروط منها أن يكون الشخص مؤمناً صالحاً وصادقاً، وأن يكون من اتباع الأئمة المعصومين.

أَنتُمُ الشافونَ مِن داءِ العَمـــــــــى ... وَغَداً ساقـونَ مِن حَوضِ الرَوا
نَـــــزَلَ الـــــــدينُ ... وَتَخَـــــــطّى
عَلَيـــــــكُم بَيتَكُم ... النـــــاسَ طُرّاً وَطَوى

(الرضي، ١٩٣٢م: ٩٧/١)

وهناك أبيات أخرى تشير إلى محتوى حديث النّبي صلى الله عليه وسلم عندما يقول:"عليّ قسيم النّار والجنّة" حيث عدَّ الإمام علي (ع) شفيعاً ومخلِّصاً من عذاب يوم القيامة:

قَسيـــــــــــمُ النارِ جَدّي يَومَ ... بِـــــــــــــهِ بابُ الـنَّجاةِ مِنَ
يُلقى ... العَذابِ
وَساقي الخَلقِ وَالمُهَجـــــــاتُ ... فَـاتِحَـــةُ الصِـــــــراطِ إلى
حَرّى ... الحِســـــــابِ

(المصدر نفسه، ١٧٧/١)

إنّ الرسول الكريم (ص) خاطب أمير المؤمنين: «يا عليّ أنت قسيم الجنه و النار»(ابن بابوية، ١٣٨٧ق: ١٣٦/٢). سأل مأمون من الإمام رضا(ع) يوماً: ما هو معني قسيم الجنة والنار الذي وصف به جدّك؛ لأنّ عقلي شديد الانشغال بهذه النقطة، فقال الإمام: هل سمعت ما ورد عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: "حبُّ علي إيمان وبغضه كفر"؟ قال: نعم ، ثمّ قال الإمام الرضا (ع): إذا كان تقسيم الجنّة والنّار على أساس الصداقة والعداوة للإمام علي (ع) فهو قاسِم الجنّة والنّار(المجلسي،١٣٧٧ش: ٣٩/ ١٩٣)، لذلك بما أن الإمام على حق فإنّه لا يخالف الحقَّ، كما قال الإمام الرضا (ع) في رواية عن أجداده أن الله تعالى قال: «ولاية

علي بن أبي طالب حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي»(ابن بابويه، ١٣٨٧ش: ١٣٦/٢).سرُّ هذا القول أنّه في مراحل مختلفة من الآخرة، وقبل أي حساب وسؤال، يُسأل الانسانُ عن الولاية والإيمان بإمامة الأئمة (ع). وممّا لا شك فيه أن الذي لم يجيب على هذا السؤال لا ينجو ولا يتمتّع من الشَّفاعة.

في البيت الثاني، يذكر الشاعر الإمام علي (ع) كساقي خمرٍ حيث وقد أوكله الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم مسؤولية حفظ هذا الحوض. إن معيار الإستمتاع من نعم الحوض الكوثر هي إطاعة أمير المؤمنين (ع) والتقيّد الفكري والعملي بتقوى الله ومعيار الحرمان هي المعصية والآثام وعصيان آل البيت عليهم السلام. تجدر الإشارة إلى أن الحوض الكوثر هو عامل للسكينة والطمأنينة القلبيّة لمحبّي الإمام علي (ع)؛ لأنّ في الظروف الصعبة، محاربة الشهوات والإغراءات الشريرة تمنحنا القوة، وتغلق ثغرات اليأس فينا، وتمهّد الطريق للتوبة والعودة، ولا تجعلنا أبدا جريئين لإرتكاب الإثم والعصيان. الشاعر أعلاه أشار الى جسر الصراط .. الصراطُ هو جسرٌ فوقَ جهنَّمٍ يعبرُ منه الجميع يومَ القيامة.وفقاً لبعض الأحاديث، هناك محطّات على الطريق يتمّ فيها تدقيق معتقدات المرء وأفعاله. إنّ سرعة مرور الإنسان على طول الطريق تتناسب مع أفعاله في العالم، فالبعض سيمرّ منه بسرعة والبعض سيبقي عليه لآلاف السنين، وسيسقط البعض في الجحيم. كذلك تجدر الإشارة إلى أن جواز العبور من جسر الصراط هي ولاية الإمام علي والعداوة مع أعدائه، كما يقول الرسول(ص): عند قيام الساعة سيقع الصراط فوق الجحيم ولا يستطيع أحد أن يمرّ منه إلا من له إجازة للعبور؛ وهذا الإذن هو إتباع ولاية علي بن أبي طالب (ع)(المجلسي،١٣٧٧ش: ٦٨/٨).

يعتقد الشريف الرضي إنّ الوصول إلى الجنة الخالدة لا يمكن إلّا عن طريق شفاعة أهل البيت(ع) وعنايتهم، فمن يرجو غيرهمم لا يصل إلى هدفه، بل النار تكون مأواه.

أينَ عنكُم للذّى يبغِى بِكُم ظِلَّ عَدن دونَها حَرُّ لَظى

(الرضي،١٩٣٢م: ٩٤/١)

قد خلق الشاعر في هذا البيت بإتيانه الكلمات (الظلّ، والحرّ واللظى) صناعة مراعاة النظير، حيث ترتبط تلك الكلمات بعضها ببعض من حيث المعنى والدلالة؛لأنّ الانسان يستجير بالظلّ من الحرارة واللظى.

إنّ الشريف الرضي يعتقد أن الذي يريد الفوز والسعادة ينبغي له أن يقترب من النّبي (ص) وأهل بيته (ع).

أينَ عنكُم للذّى يَرجُو بكُم مع رسولِ اللهِ فَوزاً ونَجا

(المصدر نفسه، ٩٥/١)

في البيت المذكور قد خلق الشاعر مناسبة جيّدةً بذكر كلمات ك(يرجو، وفوزاً ونجا)؛ لأنّ هناك ارتباط وثيق بين تلك الكلمات، حيث أن الانسان الحرّ خاصة المسلم يرجو دائماً الفوز والنجاح.

يعتقد الشريف الرضي في بيت آخرٍ، لم يكن هناك طريق ينتهى إلى غير أهل البيت(ع) لمن يطلب الوصول إلى السعادة والنجاح في الدنيا والآخرة:

أينَ عنكم لـمُضِلٌّ طالبٍ وَضَحَ السُّبلِ وأقمارَ الدّجَى

(المصدر نفسه، ٩٦/١)

قد جاء الشاعر بكلمات تتناسب من حيث المعنى والدلالة، حيث أنّه ذكر تركيب"أقمار الدّجى"جنباً إلى جنب كلمتي"المضلّ والطالب"؛ لأنّ الأقمار تهدي الضال والتائه في الطرق والظلمات.

لا يوجد مديح خال من التوسّل وطلب الشفاعة؛ لأنّ المدائح النبويّة تُنشد لدوافع كثيرة منها التوسّل وطلب الشّفاعة ولكسب الثواب أو لرفع الحاجات؛ لهذا يعتبر التوسّل إحدى العوامل الرئيسة في إنشاد الشعر النبويّ ومن لوازمه وأركانه، خلافاً لمدح الملوك الذى كان لا يُنشد إلّا لأغراضٍ ماديّةٍ.

قسم عظيم من ديوان ابن معتوق يحتوي على التَّوسُّل بالنّبي (ص) وطلب الشفاعة منه. إنّ هذا التَّوسُّل لا يعني أبداً أن الرسول يقع إلى جانب الله، بل إنّ الرسول وأهل بيته هم مسؤولون بشكلٍ مستقلٍّ عن إدارة الشؤون وتلبية احتياجات الناس، لكن التَّوسُّل يعني التوسُّط بين الله وعباده ويتمّ ذلك بتوسط بشر صاحب مكانة عالية عند الله. يمكننا أن نسأل الله حاجاتنا مباشرة ويمكننا أن نطلب من الأنبياء أو الأئمة الدعاء لنا وطلب الحاجات. فيما يلي نشير إلى أبيات قد توسّل فيها الشاعر بالنبي (ص):

أَمَّلتُ فِيكَ وَزُرتُ قَبرَكَ مادِحَاً لِأفُوزَ عِندَ اللهِ فـي رِضوَانِهِ
عَبدٌ أَتَاكَ يَقُودُهُ حُســـــــنُ الرَّجَـا حَـاشا نَدَاكَ يَعُودُ في حِـــرمَانِهِ
فَاقبَـل إنَـابَتَهُ إلَيــكَ فَإنَّهُ بِـكَ يَستَقِيلُ اللهَ في عِصـــــيَانِهِ
فَاشفَع لَــهُ وَلآلِهِ يَــومَ الجَزَا وَلِوَالِـدَيهِ وَصَـــالِحِى إخوَانِهِ

(ابن معتوق الموسوي، ١٨٨٥م: ١٠)

يرسم الشاعر في الأبيات المذكورة لوحةً يصف فيها نفسه عند رجائه لاستغفار الذنوب تائباً منها مؤمّلاً أن يقبل الله رجاءه وذلك بطلب الشفاعة من رسول الله(ص)، كما أنّه يريد أن يشفع لوالديه وصالح إخوانه.

وفي موقف آخر يرجو الشفاعة منه في يوم المحشر:

يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللهِ خُذ بِيَدِي ... فَقَـــــد تَحَمَّـــــلتُ عِبـــــئاً فِيهِ لَم أَقُمِ
أَستَغفِرُ اللهَ مِمّا قَد جَنَيـــــتُ عَلى ... نَفسِـــي وَيَا خَجَلِي مِنهُ وَيَا نَدَمِـــي
إِن لَم تَكُن لِي شَفِيعاً في المَعَادِ فَمَن ... يُجِيرُنِي مِن عَذابِ اللهِ وَالنِّقَمِ
مَـــــولايَ دَعـــــوَةَ مُحتاجِ لِنُـــــصـــــرَتِكُم ... مِمّا يَسُوءُ وما يُفضِي إلى التُّهَمِ

(المصدر نفسه، ١٦)

قد وظّف الشاعر أسلوبَ النِّداءِ كثيراً حيث خاطب النّبي(ص) مستخدماً عبارة(يا سيدي) وبعد ذلک طلب الرحمة والغفران من الله سبحانه وتعالى مستعيناً بشفاعة الرسول(ص)؛ لأنّه رأى نفسه نادماً على ما ارتكبه من معاصي وخطايا، كما أنّه وجد نفسه محتاجاً لنصرة الرسول(ص) للهروب من مواضع التُّهم وكلمة(مولاي) هنا هى أسلوبٌ ندائيٌ تقديره يكون يا مولاي.

رثاء شهداء كربلاء

يخاف معظم الناس من الموت وفقط مجموعة صغيرة تستقبل الموت وتستعد للذهاب. من الواضح أنّ الموت ومظاهره مؤلمة لبعض الناس، لأنهّم لا يؤمنون بالحياة بعد الموت، أو إذا آمنوا، فإنّ هذا الإيمان لم يصبح عقيدةً راسخةً ولم يتسلط الايمان على أفكارهم وعواطفهم. إنّ الخوف من الفناء والموت أمر طبيعي عند الانسان. يخاف الإنسان من ظلام الليل؛ لأنّ الظُّلمة هي غياب النور. أمّا إذا كان الإنسان يؤمن بكلّ كيانه أنّ الدنيا هي سجن المؤمن وجنّة الكافر، كما جاء في الحديث: «الدُّنيا سِجنُ المؤمِنِ وَجَنَّةُ الكافِرِ»(الحراني، ١٣٩٥ش: ٥٣)،فقبول الموت يكون بالنسبة له أمراً سهلاً وبسيطاً. إنّ الموت يأتي فجأة وينسي الإنسان رغباته، وأبشع وجعٍ أن ينشغل الإنسان برغباته. إذا سعى الإنسان إلى تحقيق رغباته باستمرار فإنّه ينسى الموت، وإذا نوهَّه أحدٌ بذكر الموت والآخرة أخذ يبرّر أفعاله ثم يسلّي نفسه بالإستغفار والتّوبة. يغري الشيطان الإنسان الخاطئ بعدم التَّوبة بعد ارتكاب الخطيئة، بأن لا يزال أمامه الكثير من الفرص للتوبة وبعد الموت لم يعد للإنسان فرصةً لتحقيق رغباته، والخسارة الكبيرة التي أصابته بالرَّغبات هي أنه انشغل بنفسه ونسي الموت، ولا شكَّ في نسيان الموت، مما يجعله يؤجّل الاستغفار والتَّوبة من الذُّنوب إلى زمن آخرٍ؛ لأنّه كان يحاول باستمرار تحقيق آماله، ولهذا لم يستطع قلبه أن يتذكَّر الموت، حيث الموت لا يتوافق مع رغبةٍ طويلةٍ، وذكر الموت

يمحي الآمال، كما أنّ الآمال تجعل الإنسان ينسى ذكرى الموت. يشير الشريف الرضى فى هذا الصدد وأثناء رثائه لأهل البيت(ع) إلى حتمية الموت ويقول: لئلا يخدعک إحالة العمر؛ لأنّ :

اقتبس الشريف الرضى مضمون هذا البيت من القرآن حيث قال سبحانه وتعالي:﴿إِنَّ اللَّهَ عندَهُ علمُ السّاعَةِ ويُنزّلُ الغَيثَ ويعلمُ ما فى الأرحامِ وما تَدري نَفسٌ ماذا تَكسِبُ غداً وما تدري نفسٌ بأيِّ أرضٍ تَموت إنّ اللَّهَ عليمٌ خبير﴾(لقمان/٤١-٣١).

تأثّر الشريف الرضي بأقوال الإمام علي (ع) المليئة بالحِكَم والمواعظ وعدم الإنتماء إلى الدّنيا، وقد استفاد منها كثيراً، إنّه قد عكس كثير من مضامين الحكمة للإمام علي (ع) في نهج البلاغة خاصة زوال العالم وخلود الآخرة في شعره. إحدى حكم الشريف الرضي التى استخدمها كثيراً هى الموت حيث قد تطرّق إليها عند ذكر واقعة الطفّ واستشهاد الامام حسين (ع) وأبنائه وأصحابه. رثى شريف الرضي شهداء كربلاء في أبيات كثيرة منها:

لا أرى حُزنَكُمُ يُنسى وَلا رِزءَكم يُسلى وإن طالَ المَدى

(الرضي، ١٩٣٢م: ٩٥/١)

يعتقد الشريف الرضي أنّ استشهاد شهداء كربلاء والمصيبة المنبعثة منه لا تُنسى ولا تنتهي حتى لو طال الدَّهر وامتدَّ الزَّمن.قد خلق الشاعر بذكر كلمتى«يُنسى ويُسلى» موسيقيًّا داخليًّا رائعًا. يعتقد الرضي أن شهداء كربلاء هم يشفون الناس من جميع الأمراض حتى داء العمى وهم الذين يهدون الناس إلى حوض الكوثر في القيامة:

أنتُمُ الشّافونَ مِن داءِ العِمى وغداً ساقون من حوضِ الرّوا

(المصدر نفسه، ٩٥/١)

فى هذا البيت إشارة واضحة لشفاعة هؤلاء الأطهار الذين استشهدوا فى واقعة الطفّ، كما أنّها تشير إلى أنهم هم السّاقون فى يوم البعث والنّشور وفى البيت اقتباس من الآية الكريمة﴿إنّا أعطَيناکَ الكَوثَر﴾ (كوثر/١).

يرسم الرضي في بيتٍ آخرٍ صورةً رائعةً من شهداء كربلاء حيث يستعار للشهداء لفظ الشّموس حيث يشبّههم بالشّموس ثم يحذف المشبه ويبقي المشبه به:

تكسفُ الشّمس شموساً مِنهُمُ لا تُدانيها ضياءً وعُلا

(المصدر نفسه، ٩٥/١)

إن الشاعر في البيت المذكور قد جاء بكلمات تتناسب بعضها البعض حيث ذكر الشمس وأتى بذكر كلمتي "الضياء والعلا" ويرمز بهما إلى الشمس ويقصد بالشموس أهل البيت(ع) حيث قد غلبوا بنورهم وضيائهم على الشمس في عالم الواقع.

في بيت آخر استعار الشاعر لفظ"الوحش" لأعداء وقاتلي الامام الحسين(ع) في واقعة الطفّ حيث صوّرهم في حالة قطعهم أرجل ألشهداء وأيديهم، تلك الأرجل والأيادي التي تسعي إلى الخير والمكارم.

وتنوشُ الوحشُ مِن أجسادِهِم أرجُلَ السبقِ وايمان النَّدى

(المصدر نفسه، ٩٥/١)

في البيت السابق أنّ لفظة«أرجل» مجاز مرسل مفرد يقصد به أجسادهم؛ لأنّ اللفظة المذكورة، أى: الأرجل هي ضمن شيء آخر وهو الجسم؛ فذكر الجزء وأراد الكل؛ فالعلاقة جزئيّة، كما أنّ العلاقة الآليّة أيضا تكون صحيحة، إذ «الرِّجل» آلة لأداء أعمال الخير؛ لأنّ الإنسان يسعي على قدميه في أدائه الأعمال.

في بيت آخر يشبه الشريف الرضي شهداء كربلاء بمصابيح لشدّة نور وجوههم وضيائها:

ووجوهاً كالمصابيحِ فَمِن قَمَرٍ غابَ ونجم قَد هَوى

(المصدر نفسه، ٩٥/١)

قد يرى الشاعر أن استشهاد أهل البيت(ع) وأصحابه يكون بمثابة غياب القمر وأفول النّجم، فجاء بكلمات دالة كفعل"غاب" للقمر وفعل"هوى" للنّجم. إمعان النظر في جميع مراثي ابن معتوق يدلّنا على مفاهيم دينيّة إسلاميّة مفادها التسليم المطلّ لإرادة الله وقدر السماء في مسألة الموت قضاءً حتميّاً لكلّ إنسان. وما الموت إلا رحلة إلى ما هو أبقى وأجدى(عبده، ١٩٨٧م: ١٤١) ولعلّ هذا الحسّ الدينّي المرهف يتّوج في مرثيات ابن معتوق لشهداء كربلاء:

هَـــــلَّ المُحَرَّمُ فأســـــتَهِلَّ مُكَـــــبَّرَا وَأنثُر بِهِ دُرَرَ الدُّمُوعِ عَلَـــى الثَّـــرَى

وَانظُـــر بِغُرَّتِـــهِ الهِلَالَ إذا إنجَـــلـــــَى مُستَـــــرجِعَاً مُتَفَـــــجِّـــعَاً مُتَفَـــــكِّرَا

وَأقطِـــف ثمارَ الحُزنِ مِن عُرجُونِهِ وَانحَـــــــر بِخَنـــــجَرِهِ بِمُقـــلَتِكَ الكَـــرَى

وَانسَ العَقيقَ وأُنـــسَ جِيرَانِ وَاذكُـــر لَنَا خَبَرَ الصُّفُوفِ وَمَا جَرَى

النَّقَا

(ابن معتوق الموسوي، ١٨٨٥م: ١١٣)

نلاحظ في الأبيات الآنفة الذكر نحيباً صادقاً وعاطفةً متأجّجةً ونشيجَ حزنٍ متواصلٍ ونبرةَ ألمٍ منكسرةٍ تدعو إلى إقامة حزنٍ جماعي فالمصاب عامٌ والألم وحّد القلوب باستشهاد ذرّيّة الرسول وبضعته وسبط أهل الجنة. فابن معتوق هنا يوجّه خطاباً إلى الآخرين يتضمّن دعوة إلى إقامة مآتم العزاء واستقبال شهر محرم الحرام بالدمع الصادق والعبرة الحارة على فقد أبي الأحرار الإمام الحسين (عليه السلام) وصدق حرارة المشاعر وقوتها في هذه الأبيات مستمد من صد الواقعة والإيمان بمبدأ الحبّ والإخلاص في الولاء لآل البيت: هذا الندب والحزن مستمر معنا على طوال مسافة الحياة إلا أنّه يظهر أشد ما يظهر عند الموت(بشري، ١٩٧٧م: ٨)، أو عند مجيء ذكرى موت الإمام الحسين (عليه السلام) أو من أحببناه وفقدناه في هذه الحياة. كان يتّسم ابن معتوق بالوفاء وصدق المشاعر ورقّتها إزاء من يحبّ وإزاء ممدوحيه فمثلما مدحهم ونالوا تخليداً بأبياته فهو كذلك يرثيهم لفقدهم. نستطيع القول بأن مراثي ابن معتوق، هي زيارة مقدسة أخرى على شكل نظمٍ، وذلك لأنّه استخدم فيها مفاهيم الزيارة المقدسة:

للّــهِ أيُّ مُصبـيةٍ نزلــت بـه ... بَكَت السَّماءُ لها نجيعاً أحمرا

خطبٌ وهى الإسلامُ عندَ وقوعِهِ ... لبست عليه حدادها أمُّ القُرى

أو ما ترى الحرمَ الشريفَ تكادُ مِن ... زفراته الجمــراتُ أن تَتَسعــرَا

(ابن معتوق الموسوي، ١٨٨٥م: ١١٣)

قد جاء نظير ما ذكر في الأبيات السابقة، في زيارة الناحية المقدسة –بكاء الامام مهدي(عج) على الامام الحسين(ع)-:« وبكت السماء وسكانها والبيت والمقام الحرم والحل والأحرام»(واحد تحقيقات مسجد مقدس جمكران،١٣٧٥ش: ٤٩-٤٨).

النتيجه

تعرّف الشريف الرضي وابن معتوق الموسوى منذ صغرهما على التعاليم الإسلاميّة والقرآنيّة، حيث هيّأتهما هذه التنشئة الدينيّة لكتابة قصائدٍ عفيفةٍ وصادقةٍ في ذلك

الوقت عارية عن الفتور والفساد.إنّ هذين الشاعرين قد صوّراً قيّماً كالإبتعاد من التعلّقات الدنيويّة، والابتعاد عن الشَّهوات، والتوكّل على الله، والصّبر على المشاكل، والإيمان بأصول الدين، والإيمان بشفاعة الأئمّة وخلاصهم، وذكر الموت. كما أنهما قد مزجا القيّم الروحيّة بالموضوعات الدينيّة وغمرا القارئ في ضوء هذا الانصهار. يظهر التعبير عن هذه التعاليم أن الشاعرين نفسهما قد تمسّكا بهذه القيم عمليّاً ودعوا الجميع إليها من قاع قلبهما. نشأت قصائدهما الزهدية من أعماق كيانهما واختلطت بالعقيدة والالتزام الديني، وقد استخدما في هذه القصائد الآيات القرآنية ووحِكَماً من الإمام علي (ع). وقد تأثّرا بأقوال الإمام علي (ع) الطاهرة الحكيمة والوعظيّة التي لا تنتمي إلى الدنيا. إنهما قد عكسا كثير من المضامين الحكمية خاصّة زوال الدنيا وخلود الآخرة في شعرهما.

إنّ الشاعرين بمعرفتهما عن هذا العالم الفاني، قد استهدفا الآخرة دائماً، وحرّرا نفسهما من قيود هذا العالم المخادع. في نظرهما، الزاهد الحقيقي هو الذي لا يغلق قلبه على العالم ولا يفكّر في الرّغبات الماديّة ويسعى دائماً لتحقّق العظمة ويتجنّب الجشع ولا يطلب إلّا من الإله الواحد ويعتبره مخلصاً حقيقياً.

يعتقد الشريف الرضي أنّ الإمام علي (ع) هو ساقي حوض الكوثر، ولا يمكن دخول الجنة دون شرب ماء الكوثر، فلهذا في عالمنا هذا أيضا، أنّ المسلم لا يستطيع أن يدخل الجنّة دون اتباع طريق الإمام وكسب رضاه؛ فإنّه أكثر من ذكر المفاهيم القرآنية في أبياته، خاصّة تلك الأبيات التي مدح بها أهل البيت(ع) أو رثاهم بها، كما تجلّت في بعض أبياته صورة من أحاديث النبي(ص)، بينما يعكس ابن معتوق في مراثيه نحيبه الصادق وعاطفته المتأجّجة ونشيج حزنه المتواصل ونبرة ألمه المنكسرة التي تدعو إلى إقامة حزنٍ جماعي فالمصاب عامٌّ والألم وحّد القلوب باستشهاد ذرّيّة الرّسول وبضعته وسبط أهل الجنّة. قد أحسن ابن معتوق في استخدام اللّغة الحقيقية والمفردات الموحية الّتي تلقي بظلالها على الصورة الشعريّة وتوسّع المعنى موظفًا كل تقنيّات الصورة من التشبيه البليغ وتشبيه المرسل المجمل، والاستعارة المكنيّة والمجاز لتكون وسيلة من وسائل إشاعة الجمال الفني في أبعاد الصورة الشعريّة. لتشبيهات ابن معتوق أهداف تسعى إلى تحقيق ما يريد نقله وأغراضاً تحرص أن تصل إلى غاياتها وادراكها. وقد استخدم في هذا النوع تصاوير رائعة في توصيف مكارم النبي (صلي الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) وصفاتهم الحميدة إلى أن قرّب المعاني والمفاهيم إلى أذهان المخاطبين.استخدم ابن معتوق فن التجسيد وبهذه الطريقة قد أعطى أبياته حيويةً ونشاطاً كثيراً. إنّه يشير إلى واقعة غدير خم ويستخدم عنصر الخيال ويقوم بوصف وقائع ذلك اليوم. كما أنه يشير إلى آية التطهير في بعض أبياته. قد وظف ابن معتوق أسلوب النداء كثيرا حيث

خاطب النبي(ص) مستخدما عبارة(يا سيدي) وكلمة(مولاي) التي تقديرها يكون يا مولاي.

المصادروالمراجع

القرآن الكريم

ابن بابوية، محمد بن علي.(١٣٨٧ش)، **عيون اخبار الرضا عليه السلام**، طهران: منشورات جهان.

..... (١٤١٣ق)، **من لا يحضره الفقيه**، ٤جلد، چاپ دوم، قم: مكتب الانتشارات الاسلامية المتعلّقة بجامعة مدرسين حوزه علميه قم.

ابن معتوق الموسوي، شهاب الدين بن أحمد بن ناصر.(١٨٨٥م)، **الديوان**، بيروت: دار صادر.

أبو حاقة، أحمد.(١٩٧٦م)، **الالتزام في الشعر العربي**، الطبعة الأولى، بيروت: دار العلم للملايين.

باشا، موسى.(١٩٨٩م)، **تاريخ الأدب العربي**، بيروت: دار المعارف.

بشرى، محمّد علي.(١٩٧٧م)، **الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام**، لا ط، بغداد: مطبعة الإدارة المحلية.

الحراني، ابو محمد.(١٣٩٥ش)، **تحف العقول**، المترجم: احمد جنتى، طهران: منشورات اميركبير.

الحسن الندوي، محمد الرابع.(١٩٨٥م)، **الأدب الاسلامي وصلته بالحياة**، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الرسالة.

الحسيني العاملي،سيد محسن الأمين.(١٩٧٩م)، **أعيان الشيعة**، ط١، بيروت: دار الفكر المعاصر.

الحكيم، توفيق.(د.ت)، **فن الأدب**، لا طبعة، مصر: دار مصر للطباعة.

خليل، عماد الدين.(١٩٨١م)، **محاولات جديدة في النقد الإسلامي**، الطبعة الأول، بيروت:مؤسسة الرسالة.

خوشحال دستجردى، طاهره.(١٣٨٦ش)، «**مقام عرفانى حضرت فاطمة(س) از ديدگاه امام محمد غزالى**»، فصلنامه تاريخ پژوهى، سال يازدهم، شماره ٤١-٤٠.

سارتر، جان بول.(١٩٦٧م)، **الأدب الملتزم**، ترجمة:جورج طرابيشي، الطبعة الثانية، بيروت: منشورات دار الآداب.

سيدي، محمد.(١٣٧٠ش)، **ابن معتوق دايرة المعارف اسلامى**، چاپ اول، طهران: مركز بزرگ دايرة المعارف اسلامي.

الشريف الرضي، محمد بن حسين.(١٩٣٢م)، **ديوان الشريف الرضي**، شرح مصطفي الحلاوي، بيروت: دارالكتب العلميّة.

عبده، بدوي.(١٩٨٧م)، **دراسات في النص الشعري، عصر صدر الإسلام وبني أمّية**، الكويت: ذات السلاسل.

عنايي مصطفى، وأحمد اسكندري.(١٩١٩م)، **الوسيط في الأدب العربي وتاريخه**، القاهرة: دار المعارف.

الفاخوری، حنا.(١٣٨٥ش)، **تاريخ الأدب العربي(الأدب الحديث)**، قم:منشورات ذوی القربي.

المجلسی، محمد تقی.(١٣٧٧ش)، **بحار الأنوار**، ج٣٩، قم: نشر وفا.

المـــحجوب، عباس.(٢٠٠٦م)، **الأدب الاسلامي قضاياه المفاهيمية والنقدية**، الطبعة الأولى، عمان: جدار للكتاب العالمي.

نورالدين، حسن جعفر(١٤١١ق)، **الشريف الرضي: حياته وشعره**، بيروت: دارالكتب العلمية.

واحد تحقيقات مسجد مقدس جمكران.(١٣٧٥ش)، قم: انتشارات مسجد مقدس جمكران.

COPYRIGHTS

© 2023 by the authors. Licensee Islamic Azad University Jiroft Branch. This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution 4.0 International (CC BY 4.0) (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

ارجاع: جوانمردي حسين، سعدون زاده جواد، جادري سهاد، الالتزام في الأدب العربي (الشريف الرضي وابن معتوق الحويزی دراسة موازنة)، دراسات الأدب المعاصر، السنة ١٥ ، العدد ٥٩، خريف ١٤٤٥، الصفحات ١٦٦-١٤٥.